اللَّطَائِفُ التَّفْسِيرِيةُ فِي سُورَةِ الهُمَزةِ المَكِّيَّةِ

إعداد الباحثين

د/ عاطف محمد محمود الخولي

د/ محمود متولي حسين الميهي

الأستاذين المساعدين بكلية العلوم والآداب بطبرجل

جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

والمدرسين بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين ،،، أما بعد

فإن الله ﷻ قد اختص هذه الأمة بأفضل كتاب أُنزل ، على خير رسول أُرسل ، وأَودع فيه من الآيات الواضحات ، والدلالات البينات ، والبراهين الساطعات لهداية البشر إلى الطريق المستقيم ، ناهيك على أنه المعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان والمكان ، وحفظه الله ﷻ من التبديل ، والتحريف ، والتغيير ، فقال تعالى :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ} الحجر/٩ ، وقام الرسول ﷺ ببيان ما كُلِّف به ، مما يُشكل فهمه على الصحابة – رضوان الله عليهم – كى يكون هداية ورحمة لهم ، ولجميع المؤمنين قال تعالى :{ وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} النحل/٦٤ ، ثم قيض الله ﷻ من بعده ﷺ أصحاباً أشداء رحماء فيما بينهم لبيانه للناس ، ثم تبعهم بعد ذلك علماء أجلاء ، نال هذا الكتاب الخالد اهتمامهم قديماً وحديثاً ، فقاموا بتفسير القرآن الكريم ، وتوضيح غريبه ومعانيه ، يأتي كل مفسر لينهل من هذا النبع الصافي بما يُشبع أهل زمانه ولمن يأتي بعدهم ، وقد اتخذت هذه العناية أنماطاً متعددة ، منها ما يرجع إلى إعجازه

وأسلوبه ، وأخرى ترجع إلى أدائه ولفظه ، وثالثة بيانه وتفسيره ، ورابعة إلى رسمه وكتابته ، واختلفت مناهج هؤلاء المفسرين ، وتعددت ثقافاتهم ، وتلونت مشاربهم .

ولا ريب في أن العمر الذى يعيش فيه المسلم مع القرآن الكريم ، قراءة ، وتدبراً ، وفهماً، وكشف النقاب عن بعض جواهره المكنونة ، ودرره المصونة ، لهو من أفضل الأعمال ، وأجلها ، وأقوم المقاصد وأشرفها .

كما أنه لا خلاف أيضاً بين العلماء أن التعبير، والنسق القرآني لهو نسق وتعبير فريد، لأنه تنزيل من رب العالمين، ولذلك أبهر العرب، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وتحداهم الله به فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة.

إن التعبير القرآني تعبير مقصود ، له حكمته ووجاهته ، فكل لفظة فيه لم توضع هباء ، وإنما لحكمة وغاية جليلة ، فكل كلمة وضعت في المكان الذى يقتضيه السياق القرآني ، بحيث إن الكلمة لا توضع مكان الأخرى وإن كانت تشابهها وتقاربها في المعنى ، وهذا ما دعا بعض المسلمين ممن يقرؤون القرآن الكريم بدون تدبر ، وإمعان أن يقرؤه على وجه الإجمال بدون فهم ، والوقوف على أسراره ، ودرره الثمينة التي لا تعد ولا تحصى ، كما فعل الأوائل الذين تدبروه ،وأعملوا عقولهم فيه حتى وقفوا على كثير من أسرار إعجازه ، ووجه الحكمة والبراعة فيه، وأدركوا أسرار التراكيب في النسق القرآني ، ودقة اختيار الكلمات.

ومن هنا جاء هذا البحث للوقوف على بعض هذه الأسرار ، والدرر للتعبير القرآنى من خلال سورة الهمزة ، والتي ربما لا يجد القارئ أدنى صعوبة في قراءتها ، وفهم الكثير من معانيها ، وقد آثرت اختيار هذه السورة الكريمة لتكون مثالاً ونموذجاً أقف من خلاله على دقة الاستعمال القرآني ، والدقة في اختيار الكلمات ، ومدى تناسب وترابط الآيات بعضها ببعض ، وصياغتها صياغة فنية إبداعية ، وبيان الكثير من الدقائق ، واللطائف ، والنكات التي ربما تخفى على الكثير ، لبيان مدى إعجاز القرآن الكريم ، وأنه { لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} فصلت/٤٢ .

ومن هنا جاء هذا البحث تحت عنوان:(اللطائف التفسيرية في سورة الهمزة المكية).

ولا أدعى لبحثى هذا الكمال ، وأننى وقفت على جل اللطائف التفسيرية التي وردت بالسورة الكريمة ، وإنما هي محاولة للوقوف على كشف اللثام عن الكثير منها بقدر الطاقة البشرية، وبما يفتحه الله ﷻ على عبده .

أسباب اختيار البحث محل الدراسة

دفعني لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه عدة دوافع أوجزها فيما يلي:

أولا : أن اختياري لهذا الموضوع بعينه، إنما هو أولاً وآخراً محض إرادة الله ومشيئته.

ثانيا : الرغبة الصادقة فى الإسهام فى خدمة كتاب الله ﷻ ، والقيام ببعض الواجب تجاه هذا الكتاب الكريم الذي يحمل بين طياته الدعوة إلى الحق والخ ير، وتحقيق السعادة للناس فى دنياهم وأخراهم.

ثالثا : الرغبة الحقيقية في المعايشة مع كتاب الله ﷻ وتدبر آياته ، محاولا كشف اللثام عن بعض أسراره ودرره التي لا تعد ولا تحصى.

رابعا : محاولة صقل الفكر العلمي للباحث عن طريق إثراء عقلي ومداركي بهذه اللطائف وتلك الدقائق وبذلك تتنوع العلوم ، والثقافات .

خامسا : لفت أنظار الباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية إلى العناية بهذه النوعية من الأبحاث والدراسات ، التي من شأنها بيان إعجاز القرآن الكريم ، وأنه بحر لا ساحل ولا شاطئ له .

الجهود والدراسات السابقة

سور القرآن الكريم بصفة عامة ، وسورة الهمزة بصفة خاصة كان لكثير من المفسرين وقفات معها ، قاموا بتفسيرها ، وبيان ما فيها من أحكام ، والوقوف على الكثير من أسرارها ، ودررها ، ولطائفها ، إلا أنه لم يُفْرد أحد من المفسرين ، والسابقين بعض السور القرآنية بإيراد اللطائف والدقائق التفسيرية التي تشتمل عليها، وهذا ينسحب على سورة الهمزة .

وبعد البحث والاستقصاء لم أجد أي دراسة مستقلة عنيت وجمعت لطائف ودقائق هذه السورة الكريمة ، ووضعها في بحث منفرد يتحدث عن هذه الناحية على وجه الخصوص، مما جعلنى أن أخوض في غمار هذه البحث .

منهاج البحث والدراسة

التزمت في إعداد هذا البحث بما يلي :

أولا : عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ، مبيناً رقمها ، مع ضبطها بالشكل .

ثانيا : خرجت الأحاديث النبوية من مظانها ، فإن كان الحديث في الصحيحين ، أو أحدهما اكتفيت به ، وإلا خرّجته من بقية كتب السنة ، مع الحكم عليه ، وذكر الكتاب ، والباب ، ورقم الحديث ، والجزء ، والصفحة .

ثالثا : توثيق النصوص التي نقلتها واستشهدت بها من مصادرها الأصلية توثيقاً علمياً دقيقاً.

رابعا : ضبط ما يحتاج إلى ضبط ويُشكِلُ فهمه ويلتبس نُطقه إلى تشكيل .

خامسا : الالتزام قدر الإمكان بطبعة واحدة لكل مصدر أو مرجع ، والمعول عليه في معرفة هذه الطبعات هو الفهرس الخاص بذلك والذى سيثبت في نهاية البحث .

سادسا : شرح الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى بيان وتوضيح .

سابعا : من باب الأمانة العلمية نسبت مادة هذا البحث واستقيتها إلى أصحابها ، مع بيان اسم المرجع ، ورقم الجزء ، والصفحة ، وبيانات هذا المرجع عند أول موضع يُذكر فيه ، أو عنده .

خطة البحث

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة، وفهارس

= **أما المقدمة** : فقد اشتملت على أهمية هذا البحث ، وأسباب اختياره ، والجهود والدراسات السابقة ، ومنهاج البحث والدراسة ، وخطته .

= **وأما التمهيد** : فقد تضمن نبذة حول سورة الهمزة ، وجاء على النسق التالي :

أولا : أسماء السورة الكريمة **ثانيا** : سبب تسميتها بهذا الاسم

ثالثا : الاتفاق على مكية السورة **رابعا** : عدد آياتها

خامسا : عدد حروفها وكلماتها **سادسا** : المناسبة بينها وبين سابقتها ولاحقتها

سابعا : الروايات الواردة في سبب نزولها **ثامنا** : المعنى العام للسورة الكريمة

= **وأما المباحث** ، فهى على النحو التالي :

أولا : اللطائف الواردة في الآية الأولى **ثانيا** : اللطائف الواردة في الآية الثانية

ثالثا : اللطائف الواردة في الآية الثالثة **رابعا** : اللطائف الواردة في الآية الرابعة

خامسا : اللطائف الواردة في الآية الخامسة **سادسا** : اللطائف الواردة في الآية السادسة

سابعا : اللطائف الواردة في الآية السابعة **ثامنا** : اللطائف الواردة في الآية الثامنة

تاسعا : اللطائف التي وردت في الآية التاسعة = **وأما الخاتمة** – نسأل الله حسنها – فقد احتوت على أهم النتائج، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

= **وأما الفهارس** ، فقد اشتملت على ما يلي :

أولا : ثبت المصادر والمراجع **ثانيا** : ثبت الموضوعات

وبعد ،،،

فهذا بحث يتعلق بكتاب الله ﷻ فى عليائه ، ويعتزى إليه في سمائه ، أظهره فكر مكدود ، ووقت محدود ، وأبى الله ﷻ أن يكون الإعجاز إلا لكتابه العظيم المعجز الخالد .

فالله أسأل أن يغفر للباحثين ما زل به القلم عن نسيان ، وسهو غير متعمد مقصود ، وأن يجنبنا الزلل ، وأن يهدينا للصواب والسداد ، وأسأله سبحانه أن يجزى من قرأه ، وأشرف عليه ، وصوّب فيه ، ونصح له ، وللباحثين ، في نصيحة واعية ، وإخلاص دؤوب ، ، ونظرة ثاقبة خير الجزاء ، إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثان

د/ عاطف محمد محمود الخولي

د/ محمود متولي حسين الميهي

الأستاذان المساعدان بكلية العلوم والآداب بطبرجل

جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

والمدرسان بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر

التمهيد

ويشتمل على ما يلي :

أولا : أسماء السورة الكريمة :

سُميت هذه السورة بسورة الهمزة، كما سميت بسورة الحطمة ، وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين، حيث قالوا : " سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير سورة الهمزة بلام التعريف ، وعنونها في صحيح البخاري } وبعض التفاسير : (سورة ويل لكل هُمزة) . وذكر الفيروز آبادي في (بصائر ذوي التمييز) أنها تسمى (سورة الحطمة) لوقوع هذه الكلمة فيها " (١)

ثانيا : سبب تسميتها بهذين الاسمين :

عن سر التسمية بهذين الاسمين قال العلماء : " سمّيت سورة الهُمَزة، لمفتتحها، وسورة الحُطَمَة؛ لذكرها فيها " (٢)

ثالثا : الاتفاق على مكية السورة :

اتفق العلماء قاطبة على مكية سورة الهمزة ، وهذا أمر مجمع عليه ولا خلاف فيه وحول هذا الاتفاق قال المفسرون : " وهي مكية بلا خلاف " (٣)

رابعا : عدد آياتها : " تسع آيات " (٤)

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٥٣٥/٣٠، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ٥٤٣/١، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

(٢) انظر : بصائر ذوى التمييز ٥٤٣/١ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ٥٢١/٥، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ٦٠٢/٥، ط : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ٣٧٩/١٥، بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، ط: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٢٨٣/٣٢، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ١٨١/٢٠، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ٦١٦/٣، ت: د.محمود مطرجي ، ط : دار الفكر – بيروت .

خامسا : عدد حروفها وكلماتها :

= أما عن عدد حروفها: " مائة وثلاثون حرفا "= وعدد كلماتها : " ثلاث وثلاثون كلمة " [٥]

سادسا : المناسبة بينها وبين سابقتها ولاحقتها :

= مناسبة السورة لما قبلها : السورة التي قبل سورة الهمزة (العصر) وهناك ارتباط وثيق بين السورتين ، حتى يبدوا كأنهما سورة واحدة ، من حيث وحدة الموضوع ، وتقارب وتكامل المعنى ، فبعد أن بين الله ﷻ في سورة العصر أن الإنسان بصفة عامة في نقصان ، وخسران ونقصان ، أتبع في سورة الهمزة ببيان أحوال الخاسر بالصفات الواردة في سورة الهمزة .

وعن المناسبة بينهما قال العلماء : " لما بين الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل تمام التشوف إلى أوصاف الهالكين، فقال مبيناً لأضلهم وأشقاهم الذي الصبر على أذاه في غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر.....

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما قال سبحانه وتعالى {إن الإنسان لفي خسر}العصر/٢، أتبعه بمثال من ذكر نقصه وقصوره واغتراره، وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال ظناً أنه يخلده وينجيه، وهذا كله هو عين النقص، الذي هو شأن الإنسان، وهو المذكور في السورة قبل، فقال تعالى {ويل لكل همزة لمزة} الهمزة/١، فافتتحت السورة بذكر ما أعد له من العذاب جزاء له على همزه ولمزه الذي أتم حسده " [٦] .

= مناسبة السورة لما بعدها : السورة التي بعد سورة الهمزة (الفيل) ويوجد بينهما اتصال وتناسب أكيد بينهما ، وعن وجه هذه المناسبة قال الإمام البقاعي – رحمه الله – :

---

(٥) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ٢٨٥/١٠،ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ٤٨٨/٢٠،ط : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى ، تفسير السراج المنير - ، لمحمد بن أحمد الشربيني. شمس الدين ٤٢٩/٤، ط : دار الكتب العلمية - بيروت .

(٦) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٢٤٤،٢٤٣/٢٢، ط : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ٥٤٠/١٠، ت: صدقي محمد جميل ، ط: دار الفكر - بيروت

الطبعة: ١٤٢٠ هـ، البرهان فى تناسب سور القرآن ، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ، ص ٣٦٧، ت: محمد شعباني ، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

" لما قدم في الهمزة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال ، دل عليه في هذه بدليل شهودي وصل في تحريقه وتغلغله في الأجسام وتجريفه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها للعذاب الأكبر الأخفى ، محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة ، مشيراً إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما يكسبه من الطغيان حتى ينازع صاحبها الملك الأعلى ، ومع كونه شهودياً فللعرب ولا سيما قريش به الخبرة التامة ، فقال مقرراً منكراً على من يخطر له خلاف ذلك:{ألم تر} .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده وما أعقبه ذلك ، أتبع هذا أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم ، وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم ، فتعجلوا النقمة ، وجعل الله كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، أي جماعات متفرقة، ترميهم بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم وقطعت دابرهم فجعلهم كعصف مأكول، وأثمر لهم ذلك اغترارهم بتوفر حظهم من الخسر المتقدم " (٧)

سابعا : الروايات الواردة في سبب نزولها :

" اختلف المفسّرون هل نزلت في حقّ شخص بعينه، أم نزلت عامّة؟ على قولين: **أحدهما:** نزلت في حقّ شخص بعينه ، ثم فيه ستة أقوال :

أحدها: الأخنس بن شريق، رواه : أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال : السّدّيّ، وابن السّائب.

الثاني: العاص بن وائل السّهمي، قاله : عروة. **الثالث:** جميل بن عامر، قاله : ابن أبي نجيح.

الرابع: الوليد بن المغيرة، قاله : ابن جريج، ومقاتل.

الخامس: أميّة بن خلف، قاله : ابن إسحاق. **السادس:** أبيّ بن خلف، حكاه : الماوردي.

(٧) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٥٣/٢٢ .

القول الثاني: أنها نزلت عامّة لا في شخص بعينه، قاله : مجاهد " (٨)

= وأرى : أن القول بالعموم هو الأولى ، لأنه كما هو معلوم عند المحققين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا يدل عى صحة ما ذهب إليه مجاهد – رحمه الله – وهذا لا يمنع من أن السورة نزلت فيمن نزلت فيهم ، وهى مع ذلك تشمل عموم من اتصف بهذه الصفات ، فاللفظ عاماً ، وإن كان في الأصل نزل في شخص بعينه، فخصوص السبب لا يضر في القول بعموم السبب، والحكم.

وهذا ما نطقت به عبارات كثير من المفسرين ، أذكر منهم الإمام الرازى – رحمه الله – حيث قال أثناء تعرضه لتلك القضية :

" وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَعِيدِ الَّذِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ هَلْ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ أَوْ هُوَ مَخْصُوصٌ بِأَقْوَامٍ مُعَيَّنِينَ، أَمَّا الْمُحَقِّقُونَ فَقَالُوا: إِنَّهُ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَذَلِكَ لِأَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِأُنَاسٍ مُعَيَّنِينَ، ثُمَّ قَالَ عَطَاءٌ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيقٍ كَانَ يَلْمِزُ النَّاسَ وَيَغْتَابُهُمْ وَخَاصَّةً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ وَيَطْعَنُ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَكَوْنُ اللَّفْظِ عَامًّا لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ شَخْصًا مُعَيَّنًا، كَمَا أَنَّ إِنْسَانًا لَوْ قَالَ لَكَ لَا أَزُورُكَ أَبَدًا فَتَقُولُ: أَنْتَ كُلُّ مَنْ لَمْ يَزُرْنِي لَا أَزُورُهُ وَأَنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُهُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَامَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى فِي أُصُولِ الْفِقْهِ بِتَخْصِيصِ الْعَامِّ بِقَرِينَةِ الْعُرْفِ " (٩)

وقال الإمام ابن عطية – رحمه الله –:" ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات " (١٠)

(٨) انظر : تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ٣٣٦/٦،ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٤٨٨/٤، ت: عبد الرزاق المهدي ، ط: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

(٩) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٣/٣٢ .

(١٠) انظر : المحرر الوجيز ٥٢١/٥ .

وقال الإمام الزمخشرى – رحمه الله – :" ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه الَّذِي بدل من كل " (١١)

ثامنا : المعنى العام للسورة الكريمة :

هذه السورة الكريمة تعالج مشكلة خُلقية مسْتعصية انتشرت بين كثير من الناس ، وهي الطعن ، والعيب في الآخرين أثناء غيابهم، وحضورهم ، والتحذير الشديد من الغيبة ، والطعن ، واللمز ، في السِّر والعلن للمؤمنين .

وقد سئل ابن عباس – رضى الله عنهما – مَنْ هَؤُلَاءِ الذين يذمهم الله بالويل فقال: هم المشاؤون بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ النَّاعِتُونَ لِلنَّاسِ بِالْعَيْبِ (١٢).

وهذا التفسير من حبر الأمة يبين صورة جليّة لصفات الهماز اللماز، ووصفاً دقيقاً لعمله القبيح ، فإنه يَصْدر ويقع منه الحقد ، والغل ، والكُرْه أينما وُجد ، ويَقْطع من قوى ، وأواصر الجماعة ، ويُوهن من الصلة بين الأفراد ، وتَشْحن الأجواء بالكراهية فيما بينهم .

ففى صدر السورة الكريمة الإخبار عن الجزاء المُعَد لكل طعّان عيّاب للآخرين، يَنْتقِصهم، ويَزْدَريهم، ويسْخر منهم ، فقال تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} .

فهذه الآية تَرْسم وتُوضح لنا صورةً خبيثة لئيمةً من صُوَرِ بعض النفوس البشرية حين تَعْرَى من الإيمان ، وتخلو من المروءة.

ولذلك نهى الإسلامُ عن تلك الصفات الدنيئة في مواضعَ شتى، لأن الإسلام جاء لتهذيبَ الأخلاق ونشر أواصر، وأسباب المودة ، والمحبة ، والأخوة الصادقة بين أفراد المجتمع الاسلامي.

وكما ورد في سبب نزول السورة الكريمة أن عدداً من زعماء قريش كانوا يَلْمِزون النبيَّ الكريم وأصحابه، منهم الأخنسُ ابنُ شريق، والوليدُ بن المغيرة، وأميّةُ بن خلف وغيرهُم، فنزلت هذه

(١١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ٧٩٥/٤، ط: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

(١٢) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٤/٣٢ .

السورة الكريمة لتُؤَدّبَهم، وتَزْجرهم ، والسبب وإن كان خاصاً إلا أنه يعم جميع البشر حتى ينتهوا عن الوقوع في مثل هذه الدنايا ، فالنص يشمل كل حاقد عيّاب طاعن ، سواء كان من الفقراء ، أم من الأغنياء .

ثم انتقلت بنا الآيات لتحدثنا عن ذم الذين ينشغلون بجمع الأموال في الدنيا، كأنهم مخلدون فيها ، وكانت شغلهم الشاغل ، فقال تعالى: {الَّذِي جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ ...} .

فجاء عجز السورة ليخبرنا بردع هؤلاء العاصين، وأخبرتهم بمصيرهم ، وجزاءهم الأليم ، وهو الطرح ، والإلقاء في نار جهنم ، وأن هذا العاصي الذي جمع المالَ ، وكثّره ، وأحْصاه ، وعَدَّده حبّاً له ، وشغفاً به ، ولم ينفقْ منه في سبيل الخير، معتقداً بأن هذا المال سيضمن له الخلود في الدنيا ، وأنه لا يفارقُها وينتقل إلى حياةٍ أخرى يُحاسب فيها على ما قدم من الأعمال السيئة.

وهنا يأتي التهديدُ ، والوعيد الشديد لهؤلاء العاصين بأن الله تعالى سوف يطرحهم في جهنم، فقال تعالى : {كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الحطمة وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الحطمة} ، وهو وعيد لا يعلم مدى كُنْهه إلا الله ﷻ ، وهنا جاء السؤال لرسول الله ﷺ :

وهل تعلم يا محمد ما الحُطَمة ؟ إنها:{نَارُ الله الموقدة التي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئدة}

هي نار جهنم الملتهبة المضرمة ناراً من كل جوانبها ، هذه النار تَطّلع على الأفئدة التي كان يَصْدر منها الهمز، واللمز، والعيب ، والطعن في الآخرين ، ويَكمنُ فيها أيضاً الغرور، والسُّخريةُ ، والكبرياء ، فتحرقُها وتحرقُ صاحِبَها.

ثم توضح لنا الآيات أن هذه النارَ مُغْلَقَةٌ عليهم في عَمَدٍ ممدّدة، طويلة ، مُطْبقة عليهم، مُحْكَمة على أبوابها ، وهو تصويرٌ لشدّة الإحكام ، وإطباقه عليهم ، وفى هذا تأكيدٌ لليأسِ من خلاصهم ، ونجاتهم منها ، وتُظْهر صورة الأمل الذى يُحَول إلى يأس ، والرجاء الذى يَؤول إلى قُنوط ، كما تُظهر صورة الغرور، والكبرياء الذى ينتهى إلى احتقار ، وذلة ، والجزاء إنما يكون من جنس العمل { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} الزلزلة/٧،٨.

وحينما ينهانا القرآن الكريم عن مثل هذه الرزايا ، والدنايا ، فإنما يهدف إلى نشر ما من شأنه أن تسود عُرَى المحبة ، والإخاء الصادق بين بنى البشر جميعاً .

المبحث الأول

اللطائف الواردة في الآية الأولى

قال تعالى : {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} الهمزة/١

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : لماذا سوّغ وأجاز الابتداء بالنكرة في قوله(ويل) ؟

عن السر في الابتداء بالنكرة هنا قال المفسرون : " المسوغ للابتداء بها – ويل – مع أنها نكرة : كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك.

ومما يشهد لهذا المعنى ما جاء في حق أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم أنهم قالوا عند رؤيتهم إياها :{قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}الأنبياء/١٤، فهي كلمة تقال عند نزول المصائب، وعند التقبيح.

فالْوَيْلُ لَفْظَةُ الذَّمِّ، وَالسُّخْطِ، وَهِيَ كَلِمَةُ كُلِّ مَكْرُوبٍ يَتَوَلَّوْنَ فَيَدْعُو بِالْوَيْلِ " (١٣)

(١٣) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٣/٣٢، فتح القدير ٦٠٢/٥، فتح البيان ٣٨١/١٥، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ٩٩/٩،ط : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ن الطبعة : ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ .

المطلب الثانى : لم قال هنا : (ويلٌ) منكراً ، وفي سورة الأنبياء قال : (ولَكُمُ الويْلُ) ، معرفاً ؟ حول هذا السبب قال علماؤنا الأجلاء :

" إن قيل: لم قال: هاهنا: (وَيْلٌ) وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {وَلَكُمُ الْوَيْلُ} الْأَنْبِيَاءِ/١٨ ؟ قلنا: لأن ثمة قالوا: {يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ} الْأَنْبِيَاءِ/١٤، فَقَالَ:(وَلَكُمُ الْوَيْلُ) وهاهنا نَكَّرَ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ " (١٤)

ويزيد صاحب بحث (دراسة بيانية في سورة الهمزة) الأمر وضوحاً، فقال :

" ونلاحظ أن الويل جاء منكراً في آية الهمزة ، والغرض من تنكير هـ : التهويل، والمعنى : أن له عذاباً شديداً لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ، ولم ترد معرفة ب (أل) إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى : {وَلَكُمُ الْوَيْلُ مما تصفون} ، وسبب ذلك : أن هذه الآية يقتضى المقام تعريفها ب (أل) فقد سبقت بقوله : {قالوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ} فجاء الرد عليهم {وَلَكُمُ الْوَيْلُ} بمعنى : أن الويل الذى ناديتم به هو لكم " (١٥)

المطلب الثالث : ما السر في إتيان (ويل) بالرفع دون النصب مع جواز وروده بالنصب ؟

في ذلك إشارة إلى أن الوعيد الوارد في قوله (ويل) ثابت، وواقع ، لا محالة ، وهذا يتناسب مع قوله تعالى في آخر السورة : {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} .

وللإجابة عن هذا السر قال العلماء : " إنه ذكر في أول الهمزة {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع، ورفعُ (الويل) يفيد الثبوت، فناسب الدلالة على الدوام، أن يقول: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب عليهم " (١٦)

(١٤) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٣/٣٢، اللباب ٤٩٠/٢٠ .

(١٥) انظر : دراسة بيانية في سورة الهمزة، لمحمد فاضل صالح السامرائى ، ص ١٧٦ ، مجلة الدراسات الاجتماعية – جامعة العلوم والتكنولوجيا ، عام ٢٠٠٤ .

(١٦) انظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، السامرائي، ص ٢٨١ ، ط: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

" (وَيْلٌ) رفع بالابتداء، ويجوز نصبه لأنه بمعنى المصدر، كما يجوز قبوحاً له منصوب إلّا أن الرفع في (ويل) أحسن لأنه غير مأخوذ من فعل، والنصب في قبوح أجود لأنه مأخوذ من فعل " (١٧)

وقال الإمام الزمخشرى – رحمه الله– : " فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}المرسلات/١٥؟ قلت : هو في أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك، ودوامه للمدعوعليه " (١٨)

ولمزيد من الإيضاح قال صاحب بحث (دراسة بيانية في سورة الهمزة) :

" الويل هو العذاب الشديد ، أو الدعاء به ، وهو مرفوع على الابتداء ، ولم يرد منصوباً في هذه الآية ، علماً بأن وجه النصب جائز فيها ، وسبب ذلك : أنه بالرفع يكون التقدير جملة اسمية ، والمعنى : الدعاء عليه بالعذاب الدائم الذى لا ينقطع ، أو إخبار به ، وبالنصب يكون التقدير جملة فعلية ، والمعنى : أهلكه الله ويلاً ، ومن المعروف أن الاسم يدل على الثبوت ، والفعل يدل على الحدوث ، والتجدد ..... وعلى هذا ف(ويل) بالرفع جملة اسمية تدل على الثبوت ، فإذا كان دعاء فهو دعاء بعذاب دائم لا ينقطع ، وإذا كان يفيد الإخبار فهو إخبار به ، ولو قال (ويلاً) بالنصب لكان ذلك على تقدير جملة فعلية تدل على الحدوث ن والتغير ، فهو إما دعاء بالعذاب الطارئ غير الدائم ، أو إخبار به ، لأنه على هذا الوجه مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره : أهلكه الله ويلاً " . (١٩)

المطلب الرابع : ما الذى يفيده قوله (لكل) وما دلالة اللام في صدره ؟

عن سر هذه الإفادة قال العلماء : " لفظ (كل) يفيد معنى الشمول، إلا أنها في هذا الموضع أسيرة مَنْ حَطّ مِنْ أقدار غيره، ومحاولة وضْعهم في منزلة دُنْيَا، أي: لكل من يطعن في أعراض الناس ويغتابهم، وهذا المعنى وظّفتْه دلالة (لام التملك ، أو الاستحقاق) التي سبقت

(١٧) انظر : إعراب القرآن، لأبى جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي ١٨٠/٥،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم
ط : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

(١٨) انظر : الكشاف ٦٧٨/٤ .

(١٩) انظر : دراسة بيانية في سورة الهمزة، لمحمد فاضل صالح السامرائى ، ص ١٧٣ .

اللفظة – كل – للإشعار بأن هذا المغرور المتعالى الذى يَحُطُّ من أقدار غيره، إذ يَخْدِش مشاعرهم لا يستحق إلا الخزى، وأن كل من يَهمز ويلمز يستحق هذا العذاب الشديد ، إذ لا يخفى ما لهذه اللفظة من قوة تعبيرية، فالصوتان اختلفا مخرجاً، إلا أنهما تقابلا في صفتى الانفجار، والجهر، فالكاف مهموس [٢٠]، واللام مجهور [٢١]، مما أدى إلى محاكاة التقابل الصوتي للدلالة اللفظية، فاللفظة نفسها لها قوة تعبيرية، وفيها تأكيد صحة الأمر الواقع بهم، وأنه واقع عليهم لا محالة من دون استثناء، وهذا يأتي في الآية التي تليها، ولو لم يقل عز وجل (كل) لذهب المعنى إلى أبعد من ذلك، ذلك أنه لم يخص طائفة بعينها، ولِما ناسبت المعنى المراد من السورة، لِما في طياتها من الخصوصية في هذا المقام ".[٢٢]

المطلب الخامس : ما هي وجه الحكمة من تقديم لفظ (الهمزة) على (اللمزة) ؟

حول هذه الحكمة قال صاحب بحث (سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية) :

" وقد يرد تساؤل : ما السر في تقديم (همزة) على (لمزة) إذ في الوقت الذى تضرْمى فيه هاتان الصفتان الرذيلتان إلى غاية واحدة، وهى إيذاء الناس ، فبدأ الله ﷻ ب (الهمزة) لأن هذا العيّاب ليس به حاجة وهو يعيب الناس بيده ، أو لسانه مواجهة إلى جهد ، أو عناء واضح ، على حين أن اللماز يغتاب الناس ويطعن فيهم من وراء ظهورهم ، وقد ساعد في إظهار ذلك : الدلالة الصوتية التي حملتها اللفظتان، فقد ناسبت الطبيعة الصوتية للهاء

---

(٢٠) الهمس لغة: الخفاء، واصطلاحا: خفاء الحرف لضعفه، وجريان النفس معه عند النطق به لضعف الاعتماد عليه فى مخرجه، وحروفه عشرة مجموعة فى قول الجزرية «فحثه شخص سكت» ، وسميت هذه الحروف مهموسة لضعفها، وجريان النفس معها عند النطق بها لضعف الاعتماد عليها فى مخارجها = انظر : العميد في علم التجويد ، لمحمود بن علي بسّة المصري ، ص ٥٦، ت: محمد الصادق قمحاوى ، ط: دار العقيدة – الإسكندرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

(٢١)الجهر لغة: الظهور والإعلان. واصطلاحا: ظهور الحرف وإعلانه لقوته، وانحباس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه فى مخرجه وحروفه تسعة عشرة، وهى الباقية من أحرف الهجاء بعد حروف الهمس العشرة، وسميت هذه الحروف جهرية للجهر بها، وقوتها، وانحباس النفس معها عند النطق بها لقوة الاعتماد عليها فى مخارجها.

وإذا فالفرق بين الهمس والجهر قائم على جريان النفس فى الأول، وانحباسه فى الثانى، والحروف الهجائية مقسمة بينهما فما كان منها من حروف «فحثه شخص سكت» فهو مهموس، وما لم يكن منها فهو جهرى = انظر : المصدر السابق .

(٢٢) انظر : دراسة بيانية في سورة الهمزة، لمحمد فاضل صالح السامرائى ، ص ١٧٦ ، محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ٥٣٩/٩، ت: محمد باسل عيون السود ، ط: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ ، سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية ، شفاء خضير عباس، ص ٨٧ ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، عام ٢٠١١ .

الهمز، والعيب بخفية، إذ في الهاء إشارة إلى الهمس بخفاء، وإن كان بأسلوب علني، والهمس لغة الخفاء " (٢٣)

المطلب السادس : ما السر في لحوق تاء التأنيث المربوطة في كل من (همزة ، ولمزة) ؟

في بداية الحديث عن هذين اللفظين أقول : بأن اللفظان يدلان على المبالغة في هذا الفعل ، وكثرة صدور ذلك منهم ، فلحوق التاء المربوطة بهما يزيد من المبالغة في الوصف ، وبذلك تتضح بلاغة ، وإعجاز القرآن الكريم في انتقاء ، واختيار ألفاظه .

وعن بيان هذا السر قال المفسرون : " والهمزة: اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى، كما يقال: سخرة ، وضحكة: للذي يسخر ويضحك بالناس ، وبناء فُعْلة يدل على الكثرة، ففيه دلالة على أن يفعل ذلك كثيرا، وأنه قد صار ذلك عادة له، وَبِنَاءُ فِعْلِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرِيَ بِهَا وَنَحْوُهُمَا اللُّعَنَةُ ، وَالضُّحَكَةُ .

وأصل الكلمتان : أن صيغة (فُعَل) بضم، ففتح ترد للمبالغة في فَاعل كما صرح به الرضيّ في شرح الكافية (يقال : رجل حُطَم إذا كان قليل الرحمة للماشية ، أي والدواب، ومنه قولهم : خُتع (بخاء معجمة ومثناة فوقية) وهو الدليل الماهر بالدلالة على الطريق فإذا أريدت زيادة المبالغة في الوصف أُلحق به الهاء كما أُلحقت في : علاّمة، ورحَّالة ، فيقولون : رجل حُطمة، وضُحكة ، ومنه هُمزة ، وبتلك المبالغة الثانية يفيد أن ذلك تفاقم منه حتى صار له عادة قد ضري بها " . (٢٤)

واعلم أن صيغة (فُعْلة) تشمل المذكر والمؤنث ، وفى هذا الصدد قال ابن جنيّ – رحمه الله – تحت باب (في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه: وذلك أضرب:

" منها اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة؛ نحو: رجل علَّامة, وامرأة علَّامة, ورجل نسَّابة, وامرأة نسابة, ورجل همزة لمزة, وامرأة همزة لُمَزة, ورجل صرورة ، وفروقة, وامرأة صرورة ، وفروقة, ، وهو كثير، وذلك أن الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه, وإنما لحقت لإعلام المسامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية، والنهاية,

(٢٣) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية ، ص ٨٨ .

(٢٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨١/٢٠، فتح القدير ٦٠٣/٥ ، الكشاف ٧٩٥/٤، مفاتيح الغيب ٢٨٣/٣٢ ، التحرير والتنوير ٥٣٦/٣٠ .

فجعل تأنيث الصفة أمارة ، لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة, وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكرًا ، أم مؤنثًا " (٢٥)

المطلب السابع : لماذا وردت الصفتان (همزة ، لمزة) بدون فصل بينهما بالواو ؟

هذا ما بيّنته عبارات العلماء، حيث قالوا :

" تضافرت البنية الصوتية مع البنية الدلالية في تشكيل المعنى، إذ أن تكرار صوت الزاى أضفى على هذه الألفاظ دلالة لا تخفى، ففيه الإشارة إلى ضعف هذا المسئ، وخذلانه إزاء العبد الصالح، وفيه من الاصطكاك، والاحتكاك في المخرج الصوتى وفى أزيره من الواقع الحاد المؤلم على الأذن، ثم إن الحروف تتقارب لتقارب المعانى، فتكرار صوت الزاى أضفى مناسباً جمالياً، فالرابط بين (همزة، ولمزة) هو معنى واحد، وهو الحط من أقدار الناس .

والواو تفيد الجمع، إلا أن مجئ الصفتين متتابعتان، بدون الواو بينهما والتي تفيد الجمع، لأن الغاية المتوخاة واحدة، وأن الهاء، واللام تباعدا في المخرج، إلا أن ذلك يُسهل نطقهما، وتلاؤم الحروف، وتستسيغه الآذان، فالجناس بين (همزة، ولمزة) من شأنه أيضاً: تقوية الجرس في ألفاظه، فشدة التشابه بين الكلمتين يوحى بالقرابة بينهما، مما يجعل إحداهما مؤكدة للأخرى، فالصلة بينهما وثيقة كالصلة بين الفرح المرح، في قوله تعالى : {ذَلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} غافر/٧٥ " . (٢٦)

المطلب الثامن : ما سر استعمال صيغة (فُعَلَة) في قوله تعالى: {ويل لكل هُمَزَة لُمَزة} ؟ ولِمَ لمْ يستعمل صيغة (فَعّال) فيقول: هَمّاز لَمّاز مثلما قال في سورة القلم {حَلافٍ مَهين . هَمّاز مَشّاءٍ بنَميم} ؟

معنا هنا في سورة الهمزة ، قال تعالى : { همزة لمزة} وفى سورة القلم ، قال تعالى: {همازٍ مشاء بنميم} ، وقد أبدع الدكتور فاضل صالح السامرائي في بيان الفرق بينهما ، فقال :" ما

(٢٥) انظر : الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ٢٠٣/٢،ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ن الطبعة: الرابعة .

(٢٦) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية ، ص ٨٨ ، الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق ، بحث تقدم به د/ ماهر مهدى هلال ، - مجلة آفاق عربية ، ص ٧١ ، لعام ١٩٩٢ .

سر استعمال صيغة (فُعَلَة) في قوله تعالى: {ويل لكل هُمَزَة لُمَزة} ؟ ولمَ لمْ يستعمل صيغة (فَعّال) فيقول: هَمّاز لَمّاز مثلما قال في سورة القلم {حَلافٍ مَهين . هَمّاز مَشّاءٍ بنَميم} ؟

= لا بد من التطرق هنا إلى صيغ المبالغة ودلالاتها والفروق بينها، فكلمة (هماز) صيغة مبالغة على وزن (فعّال)، وهذه الصيغة ، كما يقول أهل اللغة تدل على الحِرفة والصنعة، فيقال لمحترف النجارة نجّار، ولمحترف الحِدادة حدّاد، وتشتهر عندهم أسماء المهن على هذا الوزن كالفتال، والزراد، والخراط، والصفار، والنحاس، والبزاز ، فكلمة (كذاب) عندما تطلق على أحد فإنها تدل على أن هذا صار كأن الكذب حرفته التي يحترفها كما أن حرفة ذاك هي النجارة ، أو الحدادة، وهذه الصيغة تقتضي المزاولة، لأن صاحب الصنعة يداوم على صنعته ، ونقرأ في سورة نوح قوله تعالى: {ولا يَلِدوا إلا فاجِرا كفّارا} نوح/٢٧، فكأن الكفر ديدنهم، ومهنتهم اللازمة لهم لن يخرجوا عنه، ونقرأ في السورة نفسها قوله تعالى: {فقُلْتُ اسْتَغفِروا رَبّكُم إنّهُ كانَ غَفّارا} نوح/١٠، فالله تعالى غفار، وكلما أحدث العبد ذنباً أحدث الله له مغفرة .

مما تقدم نتبين أن صيغة (فعال) في أصلها تفيد الصنعة، والحرفة، والمداومة، والمزاولة

أما (هُمَزة) فهذه من المبالغة بالتاء، المبالغة بالتاء أكثر من نوع ويمكن أن نجعلها في نوعين، هما:

= ما أصله غير مبالغة ، ثم بولغ بالتاء، كالراوي، فنقول عند المبالغة (راوية)

= ما أصله صيغة مبالغة، ثم نأتي بالتاء لتأكيد المبالغة وزيادتها ، مثل : (هُمزة) فأصلها (هُمَز) وهي من صيغ المبالغة مثل (حُطَم . لُكَع . غُدَر . فُسق) ، فنأتي بالتاء لزيادة المبالغة ويقول أهل اللغة :ما بولغ بالتاء يدل على النهاية في الوصف .. الغاية في الوصف ، فليس كل (نازل) يسمى (نازلة)، ولا كل (قارع) يسمى (قارعة) حتى يكون مستطيرا عاماً قاهراً كالجائحة، ومثلها القيامة والصاخة، والطامة

فهذا التأنيث للمبالغة، بل الغاية في المبالغة، وهذا ما تدل عليه كلمة (هُمَزة)

إذن نحن أمام صيغتين للمبالغة إحداها تدل على المزاولة، والأخرى على النهاية في الوصف ... ها هو الفرق بينهما

= والسؤال الآن بعد أن عرفنا الفرق بينهما: لماذا اختار وضع هذه هنا وهذه هناك ؟

من استقراء سورة القلم نلحظ أنها تتحدث عن التعامل مع الخلق بين الناس، فكل مشاهد السورة، أو اغلبها تدور حول هذا الأمر : {وإنك لعلى خلق عظيم} القلم/٤، فهي تتناول السلوكيات ولا تذكر العاقبة إلا قليلا وهي التي وردت في قوله: {سَنَسمُه على الخرطوم} القلم١٦، ولكنه لم يذكر شيئا آخر من عاقبة مرتكب هذا الفعل {حلاف مهين . هماز مشاء بنميم} القلم/١٠،١١ .

*** أما في سورة الهمزة فقد ذكر النتيجة وتعرض للعاقبة، لذلك ناسب أن يذكر بلوغه النهاية في الاتصاف بهذه الصفة، وناسب أيضا أن يذكر في الجزاء صيغة مماثلة فقال تعالى: {كَلا لَيُنْبَذنّ في الحُطَمَة} والنبذ إذلال، والحُطَمة صيغة مبالغة بالتاء تدل على النهاية في الحطم، وهي تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فكما أنه يبالغ في الهمز فسيكون مصيره مماثلا في الشدة .

ونلاحظ أيضاً من السورة أن الخارج والمتعدي يحبس في النار وهكذا في قوانين الدنيا أيضاً.

*** أما في سورة القلم التي تركز على التعامل فقد ذكر لهم صفات مثل: (مكذبون، حلاف، هماز، كان ذا مال وبنين) وهذه الصفات لا تستوجب الطاعة فلا تطعه بسبب كونه ذا مال وبنين، والبنون كناية عن القوة والمنعة ،فالعربي صاحب عزة في عشيرته ببنيه ، ولكن المال والقوة هما سبب الخضوع والانقياد في الأفراد والشعوب مهما كانت حقيقة صاحب المال من أخلاق سوء، وإثم، واعتداء فإن لها القوة لما لها من مال وقوة، وهذا مشاهد في واقعنا وهو سبب استعلاء الدول القوية صاحبة هذا المال وتلك القوة على الشعوب المستضعفة. فالملحوظ هنا أن سورة القلم لم تتطرق إلى نهايتهم بل اكتفت بالأمر بعدم طاعتهم، أما الهمزة فقد ذكرت نهايتهم بتفصيل " (٢٧).

المطلب التاسع: ما السر في الجمع بين: الهمزة واللمزة ، وجامع المال ومُكْتَنَزِه ؟

هذا ما أفصحت عنه عبارة الشيخ الطاهر بن عاشور – رحمه الله – حيث قال :

(٢٧) انظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، السامرائي، ص ٦٨٠، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة ، لعلي بن نايف الشحود ، ص ٣٣٣ .

" وأتبع {الذي جمع مالاً وعدده} لزيادة تشنيع صفتيه الذميمتين بصفة الحرص على المال، وإنما ينشأ ذلك عن بخل النفس، والتخوف من الفقر، والمقصود من ذلك: دخول أولئك الذين عُرفوا بهمز المسلمين ولمزهم الذين قيل إنهم سبب نزول السورة لتعيينهم في هذا الوعيد " (٢٨).

كما أشار إلى هذا المعنى الشيخ عبد الكريم الخطيب – رحمه الله – حيث قال :

" أكثر الناس همزاً ولمزاً للناس، هو الذي يحرص على جمع المال، ويجعل هذا الجمع كلّ همّه فى الدنيا ، وإنه لكى ينفسح له طريق الجمع، ويخلو له ميدان الكسب، يحارب الناس بكل سلاح، فلا يدع فى الميدان الذي يعمل فيه إنساناً إلا طعنه الطعنات القاتلة متى أمكنته الفرصة فيه ، بالهمز حيناً، وباللمز أحياناً ، ثم إنه من جهة أخرى– إذ يجمع ما يجمع من مال– حريص على أن يدفع عن هذا المال كل عادية يراها بأوهامه وظنونه، فهو لشدة حرصه على ما جمع، يحسب أن كل الناس لصوص يريدون أن يسرقوه، أو قطاع طرق يتربصون به ، وهو لهذا يرمى الناس بكل سلاح، ويطعنهم بكل ما يقع ليده ، وكأنهم متلبسون بسرقة ماله الذي جمع!! ثم هو من جهة ثالثة، حريص على أن يقيم له من هذا المال الذي جمعه، سلطاناً على الناس، لا بما ينفق عليهم منه فى وجوه الخير، ولا بما يمدّ به يده إليهم من معروف، بل بما يرى الناس من غناه وكثرة أمواله ، وهو لهذا يعمل على إعلاء نفسه بهدم غيره، والحطّ من منزلته ، وهذا هو الإنسان فى أسوأ أحواله، وأخسّ منازله ، إنه لا يسمو بذاتيته، ولا يرتفع بسعيه فى وجوه الخير والفلاح، بل إنه يرتفع على حطام الناس، ويعلو على جثث ضحاياه، الذين يريق دمهم بهمزة ولمزة.

وهذا هو السرّ – والله أعلم– فى الجمع هنا بين الهمزة، اللّمزة، وجامع المال ومكتنزه.

فالهمز واللمز، وإن كان طبيعة غالبة فى الناس من أغنياء وفقراء، إلّا أنه عند الذين همّهم كلّه هو المال، يعدّ سلاحاً من الأسلحة العاملة لهم فى جمع المال، وفى حراسته، وفى التمكين لهم من التسلط على الناس به " (٢٩)

(٢٨) انظر : التحرير والتنوير ٥٣٧/٣٠ .

(٢٩) انظر : التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب ١٦٧٢/١٦، ط : دار الفكر العربي – القاهرة .

المبحث الثاني
اللطائف الواردة في الآية الثانية

قال تعالى : { الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ} الهمزة/٢

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: لماذا استعمل في هذا المقام لفظ (الذى) ووصفه بهذا الوصف المعنوى؟

وقد أجابت عبارة المفسرين عن علة هذا الأمر ، فقالوا :

" إنما وصفه الله بهذا الوصف المعنوي، لأنه يجرى مجرى السبب للهمزة واللمزة، من حيث إنه أُعجب بنفسه مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعز المرء وفضله، فلذا استنقص غيره ، وإنما لم يجعل وصفاً نحوياً (لكل) لأنه نكرة لا يصح توصيفها بالموصولات .

فالذي يحمله على الحط من أقدار الناس، هو جمعه المال، وتعديده، أي : عده مرة بعد أخرى، شغفاً به، وتلذذاً بإحصائه، لأنه لا يرى عزّاً، ولا شرفاً، ولا مجداً في سواه ، فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه، انتفخ، وظن أنه من رفعة المكانة، بحيث يكون كل ذي فضل ومزية دونه، فهو يهزأ به، ويهمزه ويلمزه، ثم لا يخشى أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز، وتمزيق العرض، لأن غروره بالمال أنساه الموت، وصرف عنه ذكر المآل " [٣٠]

المطلب الثانى : لماذا لم يعطف اسم الموصول (الذى) على ما قبله بالواو ؟

وقد أدلى الشيخ الطاهر بن عاشور بدلوه في بيان السر في ذلك ، فقال رحمه الله :

" واسم الموصول من قوله :{الذي جمع مالاً} نعت آخر، ولم يعطف (الذي) بالواو، لأن ذكر الأوصاف المتعددة للموصوف الواحد يجوز أن يكون بدون عطف ".[٣١]

المطلب الثالث : ما فائدة قراءة قوله (جمّع) بالتضعيف مع قراءة قوله (عدّده) بالتضعيف أيضاً ؟ في البداية أود أن أقول :

إن الجمهور من القراء، قرأوا (جمَع) بتخفيف الميم ، وقرأ حمزة ، والكسائى ، وابن عامر : (جمّع) بتشديد الميم [٣٢]،فالحجة لمن شدد: أنه أراد تكرار الفعل ومداومة الجمع، والحجة لمن خفف: أنه أراد جمعاً واحداً لمال واحد ، وقراءة التشديد تتناسب مع قراءة التشديد في (وعدّده) لِما بينهما من التطابق ، فقراءة التضعيف ، والتشديد في (وعدّده) تفيد المبالغة ، والكثرة ، أي : مبالغة، وحرص الهماز ، واللماز على جمع المال ، وعده، حتى استولى على

(٣٠) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٤/٣٢، تفسير القاسمى ٥٣٩/٩، روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء ٥٠٨/١٠، ط : دار الفكر – بيروت .

(٣١) انظر : التحرير والتنوير ٥٣٧/٣٠ .

(٣٢) انظر : حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ، ص ٧٧٢، ت: سعيد الأفغاني ، ط : دار الرسالة ، الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله ، ص ٣٧٥، ت: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ، ط : دار الشروق – بيروت ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

فكره، وأصبح همه ، وشغله الشاغل ، وتفيد أيضاً : أن الهماز واللماز لم يجمع هذا المال في وقت ، أو زمان معين ، وإنما استغل كل دقيقة من عمره لجمع هذا المال، فقراءة التشديد تفيد المبالغة ، والكثرة ، وأما قراءة التخفيف فتحتمل التكثير وعدمه

= وقد بينت عبارات المفسرين الحكمة من وراء ذلك ، فقالوا :

" قرأ حمزة ، والكسائى، وابن عامر بتشديد الميم على المبالغة، والتكثير، ولأنَّه يوافِقُ (عَدَّدَه)والباقون (جمَعَ) مخففاً، وهي محتملَةٌ للتكثير وعدمِه.

فالتشديد في (جمع) للتكثير في المفعول، ويؤيده تنكير (مالًا) وكذا التشديد في (عَدَّدَهُ) ولا يبعد أن يكون للتكثير في الفعل، ولا ريب أن عد المال من غير ضرورة، وضبطه أزيد من المعتاد يوجب للنفس شغلا عن السعادات الباقية، وحرصاً على الزخارف الدّنِية، وعلى التمتيع بتلك الأسباب " (٣٣)

المطلب الرابع : ما الحكمة في اختيار لفظ (جمع) دون (أحصى) ؟

وعن إبراز الحكمة من وراء هذا الاختيار قال صاحب بحث (سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية) : " الحدث (جمع المال) في زمن الماضى ، إلا أنه حدَثٌ مستمر ، لأن الماضى ثابت ، ودلالة الثبات تأتى من التراكم الذى جاء به الفعلان (جمع، وعدده) إذ لو اختير الفعل (أحصى) بدل الفعل (جمع) لَما أفاد المعنى الذى يفيده (جمع) في هذا المقام " (٣٤)

المطلب الخامس : ما فائدة التنكير في قوله (مالا) ؟

تتضح بلاغة ، وإعجاز القرآن الكريم في انتقاء ألفاظه ، ويتجلى ذلك في ورود لفظ (مالا) على صيغة التنكير ، الذى يُفهم منه الكثرة ، والتنوع ، والتعظيم ، والتفخيم لهذا المال ، الذى كا ن سبباً للهمز ، واللمز.

ولمزيد إيضاح حول هذه الفائدة قال المفسرون :

" وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَالًا) فَالتَّنْكِيرُ فِيهِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

---

(٣٣) انظر : اللباب ٤٩٠/٢٠، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، ١٠٦/١١، ت : الدكتور أحمد محمد الخراط ، ط: دار القلم، دمشق ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ٥٦٢/٦، ت: الشيخ زكريا عميرات ، ط: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

(٣٤) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية ، ص ٩٠ .

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ: الْمَالُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ: {الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا}الْكَهْفِ/٤٦، فَمَالُ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَالِ كُلِّ الدُّنْيَا حَقِيرٌ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَفْتَخِرَ بِذَلِكَ الْقَلِيلِ .

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ التَّعْظِيمَ، أَيْ: مَالٌ بَلَغَ فِي الْخُبْثِ وَالْفَسَادِ أَقْصَى النِّهَايَاتِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَفْتَخِرَ بِهِ ؟ " (٣٥)

المطلب السادس : ما المستفاد من تكرار الصوت الحاصل في لفظ (وعّدده) ؟

عن هذه الفائدة قال صاحب بحث (سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية) :

" يبدو أن التكرار الصوتى الحاصل في صوتي (الدال) الشديد يعكس دلالة اللفظة (وعدّده) لِما يمتاز به صوت (الدال) من ثقل صوتي، فهو من حروف القلقلة، وقد أسهم في تكثيف الدلالة ، إذ أن هذا الهماز اللماز ليس همه إلا جمع المال متخذاً منه وسيلة للنيل من أقدار الناس ، والحط من شأنهم ، ثم إنه مستمر في جمعه المال الذى يتصور هذا الهماز سيضمن له الحياة ، وهذا ما جاء عند بعض المفسرين ، من أنه فاخر بعدده ، وكثرته دون إنفاقه على وجه الخير(٣٦)، بدليل قوله تعالى : {منّاع للخير} ق/٢٥، وجاء في روح المعانى : عدّه مرة بعد أخرى ، حباً له، وشغفاً به (٣٧) " (٣٨)

المبحث الثالث

اللطائف الواردة في الآية الثالثة

قال تعالى : { يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ} الهمزة/٣

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : لماذا آثر التعبير بقوله (يحسب) دون (يظن) ؟

(٣٥) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٤/٣٢، فتح البيان ٣٨٢/١٥، روح البيان ٥٠٨/١٠ .

(٣٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢٠ .

(٣٧) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي، أبو الفضل ٢٣٠/٣٠، ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٨) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية، ص ٩٠ .

عن سر اختيار لفظ (يحسب) دون (يظن) قال العلماء :

" سبب اختيار الفعل (يحسب) دون الفعل (يظن) مع أنه بمعناه ، كما يقول النحاة :

أن (حسب) القلبى منقول من (حسب) الحسى، الذى منه الحساب، ومنه : حسب الدراهم ، أي : عدّها ، فإن (حسب) في قولك : حسبت محمداً صاحبك ، فيه معنى : الحساب ، أي : حسب ذلك ، وانتهى إلى ما انتهى إليه ، وليس هذا الفعل مطابقاً للظن تماماً ، فهناك فرق بين قولك : تحسبهم جميعاً ، و تظنهم جميعاً ، فإن قولك : تحسبهم جميعاً ، إنما يكون بعد مراقبة أحوالهم ، فكأنك أجريت عملية حساب، فأدى حسابك إلى ذلك ، بخلاف قولك : أظنهم ، فالحسبان قائم على الحساب ، والنظر العقلى ، بخلاف الظن الذى يدخل الذهن ، ويلابسه لأدنى سبب ، واستعمال هذا الفعل في هذه الآية دون غيره من أفعال الظن مناسب لسياق الآيات أتم مناسبة ، لأنها جاءت بعد الآية التي ذُكر فيها جمع الأموال وحسابها، وهى قوله تعالى:{الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ}، ولعله استعمل هذا الفعل في هذا الموطن للتهكم به .

فالفعل (يحسب) أولى فى الاستخدام من (ظن) ، إذ في (يحسب) تحقيق غاية السياق، وكأن الاستعمال القرآني ل (يحسب) أقرب إلى اليقين في هذا المقام منه إلى (ظن)، وكأنه تعالى أراد القول : إن هذا المتعالى بجمعه المال قد ضَمِن الخلود في الحياة الدنيا " [٣٩].

المطلب الثاني : لما عبر بصيغة الماضي في قوله (أخلده) دون المضارع ، أو المستقبل ؟

في بداية كلامى أود أن أقول :

إن الكلام فيه التفات صيغ ، من صيغة المضارع ، أو المستقبل ، إلى صيغة الماضى ، فكان من المفترض أن يقال : يحسب أن ماله (يخلده) بالمضارع، أو (سيخلده) بالمستقبل ، ولكنه آثر التعبير بصيغة الماضى للدلالة على أن هذا الخلود واقع ومتحقق عنده ، فهو ماض بمعنى المضارع ، والمستقبل .

وعن فوائد هذا الالتفات قال المفسرون :

(٣٩) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية، ص ٩٠ ، دراسة بيانية في سورة الهمزة ، ص ١٨١ .

أولا : " إِنَّمَا قَالَ: أَخْلَدَهُ وَلَمْ يَقُلْ: يُخَلِّدُهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ يَحْسَبُ هَذَا الْإِنْسَانُ أَنَّ الْمَالَ ضَمِنَ لَهُ الْخُلُودَ وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ مِنَ الْمَوْتِ وَكَأَنَّهُ حُكْمٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَهُ عَلَى الْمَاضِي ، قَالَ الْحَسَنُ: مَا رَأَيْتُ يَقِيناً لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ كَالْمَوْتِ " . (٤٠)

ثانيا : " جيء بصيغة المضي في (أخلده) لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لتحققه عنده، وذلك زيادة في التهكم به بأنه موقن بأن ماله يخلده حتى كأنه حصل إخلاده وثبت " (٤١)

ثالثا : "التعبير بالماضي للمبالغة في المعنى المراد " . (٤٢)

رابعا : " وجوز أن يراد انه حاسب ذلك حقيقة لفرط غروره واشتغاله بالجمع والتكاثر عما أمامه من قوارع الآخرة ، أو لزعمه ان الحياة والسلامة عن الامراض والآفات تدور على مراعاة الاسباب الظاهرة وأن المال هو المحور لكرتها والملك المطاع في مدينتها " . (٤٣)

خامسا : " قيل هو تعريض بالعمل الصالح وأنه الذي يخلد صاحبه في الحياة الأبدية لا المال " (٤٤)

المبحث الرابع
اللطائف الواردة في الآية الرابعة

قال تعالى : { كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} الهمزة/٤ .

(٤٠) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٥/٣٢ .
(٤١) انظر : التحرير والتنوير ٥٣٩/٣٠ .
(٤٢) انظر : روح المعانى ٢٣٠/٣٠ .
(٤٣) انظر : المصدر السابق .
(٤٤) انظر : فتح البيان ٣٨٣/١٥ .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : لماذا ذكر لفظ (النبذ) الدال على الإهانة ، والحكمة في اختيار النبذ دون الإلقاء ، أو الطرح ؟ عن حكمة اختيار هذا اللفظ دون غيره، قال العلماء :

" فَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِلَفْظِ النَّبْذِ الدَّالِّ عَلَى الْإِهَانَةِ، لِأَنَّ الْكَافِرَ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكَرَامَةِ.

وقد ذكر الفعل بلفظ النبذ دون الطرح ، أو الإلقاء ، لأن (النبذ) فيه إشارة إلى الاحتقار، والإهانة ، وأكثر استعماله في إلقاء ما يكره .

ونبذ الشيء: طرحه فى غير مبالاة، هوانا له واستخفافا به.. كما تنبذ النواة من النمرة بعد أن تؤكل .

وبكل ما في لفظ النبذ من دلالة على الهوان، والضياع، يأتي الفعل في الهمزة، مؤكداً باللام والنون المشددة، وعيداً لعابد المال الذي يحتقر الناس ويزدريهم، ويدأب على تجريحهم همزاً ولمزاً.

قال صاحب (الكشاف) في قوله تعالى : {فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم}القصص/٤٠، شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم، وإن كانوا الكثر الكثير، والجم الغفير، بحصيات أخذهنّ آخذ في كفه فطرحهنّ في البحر" (٤٥).

المطلب الثانى : ما السر في إتيان لفظ (لينبذن) بالبناء للمجهول ؟

عن حكمة إتيان هذا اللفظ بصيغة البناء للمجهول، دون صيغة الفاعل قال صاحب بحث (دراسة بيانية في سورة الهمزة) :

" والملاحظ : أن الفعل – (لينبذن) – جاء مبنياً للمجهول ، والغرض من حذف الفاعل : إما التعظيم ، أو العلم به.

أما التعظيم، فالمقصود منه : أن هذا المنبوذ لهوانه، وذله، واحتقاره لا يستحق أن يذكر معه من يَنْبِذه ، فستر ذكر النابذ بجنب ذكر المنبوذ ، تعظيماً للفاعل .

(٤٥) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٥/٣٢، الكشاف ٤١٥/٣، التحرير والتنوير ٥٣٩/٣٠ ، التفسير القرآنى للقرآن ١٦٧٣/١٦ ، التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ١٧٤/٢، ط : دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السابعة .

وأما العلم به ، فالمقصود منه : أن الفاعل معروف ن وهو ملائكة العذاب ، فاستغنى عن ذكرهم ببناء الفعل للمجهول ، وقد يكون ذلك لكلا الغرضين " (٤٦).

المطلب الثالث : لماذا سميت النار بالحطمة ؟

حول الفائدة من ذكر (جهنم) بلفظ (الحطمة) قال المفسرون :

" وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَائِدَةَ فِي ذِكْرِ جَهَنَّمَ بِهَذَا الاسم هاهنا وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: الِاتِّحَادُ فِي الصُّورَةِ كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ هُمَزَةً لُمَزَةً فَوَرَاءَكَ الْحُطَمَةُ

الثَّانِي: أَنَّ الْهَامِزَ بِكَسْرِ عَيْنٍ لَيَضَعُ قَدْرَهُ فَيُلْقِيهِ فِي الْحَضِيضِ فَيَقُولُ تَعَالَى: وَرَاءَكَ الْحُطَمَةُ، وَفِي الْحَطْمِ كَسْرٌ فَالْحُطَمَةُ تَكْسِرُكَ وَتُلْقِيكَ فِي حَضِيضِ جَهَنَّمَ لَكِنَّ الْهُمَزَةَ لَيْسَ إِلَّا الْكَسْرَ بِالْحَاجِبِ، أَمَّا الْحُطَمَةُ فَإِنَّهَا تَكْسِرُ كَسْرًا لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْهَمَّازَ اللَّمَّازَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ وَالْحُطَمَةُ أَيْضًا اسْمٌ لِلنَّارِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَأْكُلُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: ذَكَرَ وَصْفَيْنِ الْهَمْزَ وَاللَّمْزَ، ثُمَّ قابلهما باسم وَاحِدٍ وَقَالَ: خُذْ وَاحِدًا مِنِّي بِالِاثْنَيْنِ مِنْكَ فَإِنَّهُ يَفِي وَيَكْفِي، فَكَأَنَّ السَّائِلَ يَقُولُ: كَيْفَ يَفِي الْوَاحِدُ بِالِاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا تَقُولُ هَذَا لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْوَاحِدَ فَلِذَلِكَ قَالَ: وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ .

الرابع : سميت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم .

الخامس: إطلاق هذا الوصف على النار من المصطلحات الخاصة بالقرآن، والظاهر أن اللام لتعريف العهد لأنه اعتبر الوصف علماً بالغلبة على شيء يحطم وأريد بذلك جهنم ، وأن إطلاق هذا الوصف على جهنم من مصطلحات القرآن . وليس في كلام العرب إطلاق هذا الوصف على النار" (٤٧) .

المطلب الرابع: وجه المقارنة ، والارتباط بين (الهمزة ، واللمزة ، والحطمة) ؟

(٤٦) انظر : دراسة بيانية في سورة الهمزة ، ص ١٨٣.

(٤٧) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٥/٣٢، زاد المسير ٤٨٩/٤، فتح القدير ٦٠٣/٥، التحرير والتنوير ٥٤٠/٣٠ .

لما كان من شأن ، وعادة الهماز اللماز يقلل من أقدار الناس ، ويحط منهم ، كان جزاؤه دخول (الحطمة) التي تُهشم أعضاءه ، وتقضى على كبريائه ، فالجزاء إنما يكون من جنس العمل .

وفى هذا الصدد قال صاحب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) رحمه الله :

" وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة، فإنه لمّا وَسَمَه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه، ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها (الحطمة) لَمّا يُلقى فيها ، وسلك في تعيينها صيغة المبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب حتى يحصل التعادل بين الذنب ، والجزاء ، فهذا الذى ضَري بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضاربة بحطم كل ما يلقى فيها " (٤٨)

المبحث الخامس

(٤٨) انظر : الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لناصر الدين أحمد بن المنير الإسكندرى ، ص ٢٨٣، طبع على هامش تفسير الكشاف للزمخشرى .

اللطائف الواردة في الآية الخامسة

قال تعالى : { وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ} الهمزة/٥ .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : ما نوع الاستفهام في قوله (وما أدراك) وما المستفاد من فعل الدراية ؟

حول نوع الاستفهام ، والفائدة من فعل الدراية ، قال المفسرون :

" المقصود بالاستفهام في قوله تعالى: {وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ} تهويل أمر هذه النار، وتفظيع شأنها، وبيان أن كنهها لا تدركه عقول البشر، وفعل الدراية يفيد تهويل الحطمة " (٤٩)

المطلب الثاني : لماذا آثر التعبير بقوله (وما أدراك) دون (وما أعلمك) ؟

إن الناظر في القرآن الكريم بعين بصيرة سيجد بأنه ورد فيه (وما أدراك) ولم يرد (وما أعلمك) ، وعن هذه الحكمة تفصح عبارة صاحب (معانى النحو) حيث قال :

" والذي أراه : أن الدراية تكون بعد الجهل بالشيء، ولذا لا تستعمل في حق الله تعالى، (وعلم) أعم من ذلك، فقد يستعمل في ذلك غيره " (٥٠)

المطلب الثالث : ما هي الحكمة من وضع الظاهر (ما الحطمة) موضع (المضمر) ولم يقل : (ما هي) ؟

عن هذه الحكمة أجابت عبارات المفسرين ، حيث قالوا :

" والإظهار في موضع الإضمار للتقريع والتوبيخ ، وزيادة التقرير " (٥١)

ولمزيد من الإيضاح قال الدكتور/ فاضل صالح السامرائي :

" إذا أرادت العرب العناية بذكر الاسم الظاهر، وبيان أن الحكم متعلق به ذكرته، وأعادت ذكره احتياطاً للمعنى ، وذلك أنه إذا ذكر الاسم ، ثم جاء بعده كلام ، فقد يكون المخاطب لم

(٤٩) انظر : فتح القدير ٦٠٣/٥، فتح البيان ٣٨٣/١٥، التحرير والتنوير ٥٤٠/٣٠، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى .

(٥٠) انظر : معاني النحو، للدكتور / فاضل صالح السامرائي ١٠/٢، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٥١) انظر : روح المعانى ٤٦١/١٥، فتح القدير ٦٠٣/٥، فتح البيان ٣٨٣/١٥، التحرير والتنوير ٥٤٠/٣٠ .

يسمع الاسم ، أو ينصرف ذهنه إلى غيره فتحتاط لذلك بأن تكرّره لتقوية المعنى ، وتثبيته ، وإزالة اللبس عنه ، ورفع احتمال التوهم فيه " (٥٢)

المطلب الرابع : ما السر في تكرار لفظ (الحطمة) ؟

عن علة هذا التكرار قال صاحب بحث (سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية) :

" جاءت صورة التكرار التقابلي في لفظة (الحطمة) لتدل على عظمة ارتكاب هذا المسئ، فهى تقابل صورة التهويل من تشظى نار جهنم ، كما يتضح من (ما التعجبية) في (وما أدراك ما الحطمة) في تكرار الإيقاعات ، وبهذا يتآلف اللفظ والمعنى " (٥٣)

(٥٢) انظر : الجملة العربية والمعنى ، للدكتور/ فاضل صالح السامرائي ، ص ١٤٣، ط : دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ١٩٥٣ م .

(٥٣) انظر : سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية، ص ٩٣ .

المبحث السادس

اللطائف الواردة في الآية السادسة

قال تعالى : { نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ} الهمزة/٦

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ما هي الحكمة من إضافة النار إلى لفظ الجلالة ؟

أبدع المفسرون في بيان وجه الحكمة من هذه الإضافة، وذلك لحكم عديدة ، منها:

" **أولا** : وفي إضافتها إلى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم .

ثانيا : زيادة الترويع والتخويف منها، لأن خالقها– عز وجل– هو الذي لا يعجزه شيء ، وكذلك في وصفها بالإيقاد .

ثالثا : مع كثرة استعمال النار في القرآن لنار الجحيم، لم تأت مضافة إلى الله تعالى إلا في (الهمزة) فشهد ذلك بفداحة النكر لفتنة المال، وما تُغْرى به من تكبر، وبغى، وعدوان، وضلال .

رابعا : للترويع بها بأنها نار خلقها القادر على خلق الأمور العظيمة ".(٥٤)

المطلب الثاني : لماذا وصف النار بأنها (موقدة) ؟

عن علة ذلك أفصحت عبارة الشيخ الطاهر بن عاشور– رحمه الله – فقال :

" وصف (نار) ب (موقدة) ، وهو اسم مفعول من : أوقد النار ، إذا أشعلها وألهبَها ، والتوقد : ابتداء التهاب النار فإذا صارت جمراً فقد خفّ لهبها ، أو زال ، فوصف (نار) ب (موقدة) يفيد أنها لا تزال تلتهب، ولا يزول لهيبها ، وهذا كما وُصفت نار الأخدود بذات الوَقود (بفتح الواو) في سورة البروج، أي : النار التي يُجدد اتقادها بوقود، وَهو الحَطب الذي يُلقَى في النار لتتقد فليس الوصف بالموقَدة هنا تأكيداً " (٥٥)

= كما أيد، وأكد هذا المعنى بنت الشاطئ – رحمها الله – حيث قالت :

" والنار لا تكون إلا موقدة، فوصفها بالموقدة في مقام النذير، تأكيد للوعيد وإرهاب بهوله ".(٥٦)

(٥٤) انظر : فتح القدير ٦٠٣/٥/ فتح البيان ٣٨٤/١٥، التفسير الوسيط ٥٠٦/١٥، التحرير والتنوير ٥٤٠/٣٠ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود ١٩٩/٩، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٥٥) انظر : الجملة العربية والمعنى ، للدكتور/ فاضل صالح السامرائي ، ص ١٤٣، ط ك دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ١٩٥٣ م .

(٥٦) انظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ١٧٦/٢ .

المبحث السابع
اللطائف الواردة في الآية السابعة

قال تعالى : { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} الهمزة/٧ .

وفيه مطلب جاء تحت عنوان :

= لماذا خص الأفئدة بالذكر ؟

لقد أفاض ، وأجاد المفسرون في بيان تخصيص الأفئدة بالذكر في هذه الآية الكريمة، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة ، منها :

أولا : " ذكرت الأفئدة لأنها ألطف ما في البدن وأشدّه تألماً بأدنى شيء من الأذى ؛ واطلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها ، وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم ، لكن نبه على الأشرف لأنها مقر العقائد " (٥٧)

ثانيا: " ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة " (٥٨)

ثالثا : " وخص الأفئدة، لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون " (٥٩)

(٥٧) انظر : تفسير البحر المحيط ٥١٠/٨، تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري ٣٤٠/١٠، ت: غلام نبي التونسي ، ط : مكتبة الرشدية – الباكستان ، الطبعة: ١٤١٢ هـ .

(٥٨) انظر : الكشاف ٧٩٦/٤، مفاتيح الغيب ٢٨٦/٣٢ .

(٥٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٢٠ .

المبحث الثامن
اللطائف الواردة في الآية الثامنة

قال تعالى : {إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} الهمزة/٨ .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : لماذا جمع الضمير في (عليهم) ؟

قال علماؤنا – رحمهم الله – عن علة ذلك: "جمع الضمير رعاية لمعنى الجمع في (كل) " . (60)

المطلب الثاني : ما السر في تقديم الجار والمجرور (عليهم) ، أو لماذا لم يقل : (مؤصدة عليهم) ؟

لبيان هذا السر أدلى علماؤنا – جزاهم الله خيراً – بدلوهم ، وأعملوا عقولهم فاستخرجوا الدرر النفيسة ، منها :

" **أولا** : مراعاة فواصل الآى ، فكلمة (مؤصدة) جاءت خاتمة الآية، وهى المناسبة لخواتم الآى (لمزة – عدّده – أخلده – موقدة – الأفئدة – ممددة) ولو قال : (إنها مؤصدة عليهم) لاختل نظم الفواصل .

ثانيا : أن التقديم ههنا للحصر، فإن أبواب النار مؤصدة عليهم حصراً فلا يخرجون منها أبداً ، أما غيرهم من عصاة المؤمنين فقد يخرجون منها بعد أن ينالوا عقابهم ، ولو قال : (إنها عليهم مؤصدة) لم يفد الحصر ، بل لأفاد انها مؤصدة عليهم ، وقد تكون مؤصدة على غيرهم على غيرهم أيضاً ، وهو غير مراد في هذه الآية .

ثالثا : أَنَّهُ قَالَ: {عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} وَلَمْ يَقُلْ: (مُؤْصَدَةٌ عَلَيْهِمْ) لِأَنَّ قَوْلَهُ:{عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} يُفِيدُ أَنَّ الْمَقْصُودَ أَوَّلًا كَوْنُهُمْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ، وَقَوْلُهُ مُؤْصَدَةٌ عَلَيْهِمْ لَا يُفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ". (٦١)

المطلب الثالث : لماذا قال (مؤصدة) ولم يقل (مطبقة) ؟

هذا السؤال أجابت عنه عبارة الإمام الرازى – رحمه الله – حيث قال :

(٦٠) انظر : فتح البيان ٣٨٤/١٥، تفسير المظهرى ٣٤٠/١٠ .

(٦١) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٧/٣٢ ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٢٨٠،دراسة بيانية في سورة الهمزة ، ص ١٨٨.

" وَلَمْ يَقُلْ: مُطْبَقَةٌ لِأَنَّ الْمُؤْصَدَةَ هِيَ الْأَبْوَابُ الْمُغْلَقَةُ، وَالْإِطْبَاقُ لَا يُفِيدُ مَعْنَى الْبَابِ " (٦٢)

المطلب الرابع: ما السر في التعبير بالجملة الاسمية في قوله (موقدة – مؤصدة) ؟

للكشف عن هذا السر قال علماؤنا الأجلاء :

" إننا نلاحظ أنه قال : (مؤصدة) بالصيغة الاسمية للدلالة على دوام الإيصاد ، واستمراره ، وقال في الآية التي قبلها : (موقدة) بالصيغة الاسمية للدلالة على دوام إيقادها كما ذكرنا ، وهذا مرتبط بما ورد في أولها من قوله تعالى : {ويل لكل همزة لمزة} حيث دعا عليهم بالهلاك الدائم الذى لا ينقطع، ورفع (الويل) يفيد الثبوت ، فناسب الدلالة على الدوام أن يقول :{ إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} للدلالة على الاستيثاق، وإطباق الأبواب عليه في النار ، والجزاء من جنس العمل ".(٦٣)

المطلب الخامس : لماذا توسع هنا في سورة الهمزة بذكر صفات المُعَذَبِين في قوله : {في عمد ممدة} في حين لم يذكره في سورة البلد ؟

لبيان سبب التوسع هنا هو أفصحت عنه عبارة الدكتور/ فاضل صالح السامرائي ، حيث قال : " لماذا لم يقل كما قال في سورة الهمزة: {فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} فذلك له أكثرُ من سبب، وكلٌ تعبير هو أليقُ بمكانه من نواح عدة منها:

أولا : أنه توسع في سورة الهمزة في ذكر صفات المعذَّب وتوسع في ذكر العذاب فقال: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الحطمة * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الحطمة * نَارُ الله الموقدة * التي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئدة * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ}.

فقال في ذكر صفات المعذَّب، أنه هُمَزة لُمَزة، وأنه جمع مالاً وعَدّدة، يحسب أن ماله أخلده، في حين لم يزد في سورة البلد على قوله: {والذين كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا} ، ولما توسع في صفات المعذب توسع في ذكر عذابه، فقال: {كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الحطمة * وَمَآ أَدْرَاكَ ... } .

فناسب ذلك ذكر الزيادة في سورة الهمزة دون سورة البلد.

(٦٢) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٧/٣٢ .

(٦٣) انظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٢٨١ ، دراسة بيانية في سورة الهمزة ، ص ١٩٠ .

ثانيا : أنه ذكر في أول الهمزة {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع. ورفعُ (الويل) يفيد الثبوت، فناسب الدلالة على الدوام، أن يقول: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب عليهم.

ثالثا : ذكر في سورة الهمزة أن هذا الكافر يجمع المال ويعدده، ويحفظه فكما حفظ المال وجمعه وأغلق عليه الأبواب، واستوثق من حفظه أغلقت عليه أبواب جهنم واستوثق منها بأنها مُدّت عليهم الأعمدة ، فناسب الاستيثاق من حفظ المال وإيصاد الأبواب عليه الاستيثاقَ، وإطباقَ الأبواب عليه في النار ، في حين أنه ذكر في سورة (البلد) أنه أهلك مالاً لُبداً ، فذلك أهلكَ المالَ وأنفقه، وهذا جَمَعَ المال وحفظه، فناسب ذكر الحفظ وشدة الاستيثاق في سورة الهمزة الاستيثاق من غلق باب النار عليه، والجزاءُ من جنس العمل.

رابعا : ذكر في سورة الهمزة أن هذا الكافر يحسب أن ماله أخلده في الدنيا وأبقاه، وأنه لا يفارقها، فعوقب بذلك بالخلود في النار، وإطباق أبوابها عليه والاستيثاق بالعمد الممدّدة عليها، للدلالة على خلوده في النار أبد الآبدين. فحسبانه الخلود في الدنيا مقابل لحقيقة الخلود في النار ، فهناك ظَنٌّ وهنا يقين ، وهناك خلود مظنون في الدنيا وهنا خلود واقع حقيقة في النار.

خامسا : ذكر في سورة الهمزة أن هذا الكافر يتعدى على الآخرين، فهو لم يكفّ أذاهُ عنهم، ولم يَنَلْهُمْ من خيره شيء، فهو يهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم، فلم ينفق من ماله شيئاً. فلما اعتدى على الآخرين وآذاهم انبغى له الحبس لتخليص الناس من شره وعدوانه. والمحبوس تُغلق عليه أبواب الحبس ويُستوثق من إغلاقها وعدم فتحها لئلا يخرج منها. فناسب ذلك زيادة الاستيثاق بالعمد الممدة على الأبواب لئلا تفتح ، في حين لم يذكر في سورة البلد سوى الكفر بآيات الله، ولم يذكر أنهم تعدّوا على الآخرين.

سادسا : أن المعذبين في سورة الهمزة كفار، وزيادة، فهم:

١- كافرون.

٢- يتعدون على الآخرين بالهمز واللمز والسخرية والتكبر.

٣- أنهم جمعوا الأموال ولم ينفقوها.

٤- يحسبون أن الأموال تُخَلِّدهم في الدنيا.

في حين لم يذكر في سورة البلد إلا الكفر.

فأولئك كفار وزيادة في العدوان، فاقتضى ذلك الزيادة في تعذيبهم وحبسهم.

فانظر كيف ناسب كل تعبير موطنه ، ولو جُعلت الزيادة في سورة البلد لم تَحْسُن كما هو ظاهر " (٦٤)

المبحث التاسع
اللطائف الواردة في الآية التاسعة

قال تعالى : { فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} الهمزة/٩ .

وفيه مطلب واحد جاء تحت عنوان :

= لماذا عبر بقوله : (في عمد) ولم يقل (بعمد) ؟

عن علة هذا الأمر قال المفسرون :

" (الفاء) بمعنى الباء ، أي : مؤصدة بعمد ممددة ، قاله: ابن مسعود، فلَمْ يَقُلْ: بِعَمَدٍ ، لِأَنَّهَا لِكَثْرَتِهَا صَارَتْ كَأَنَّ الْبَابَ فِيهَا ".(٦٥)

والله تعالى أعلم

(٦٤) انظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٢٨١ ، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، جمع وإعداد : الباحث في القرآن والسنة : علي بن نايف الشحود ، ص ٢٩٦.

(٦٥) انظر : مفاتيح الغيب ٢٨٧/٣٢، الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/٢٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتُقضى المطالب والحاجات، والصلاة والسلام على سيد السادات سيدنا محمد ε، ورضي الله عن صحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. **وبعـــد،،،**

فإن لكل بدء خاتمة، وبعد رحلة ممتعة ، عشت من خلالها مع إحدى السور المكية ، وهى سورة الهمزة، واستخراج بعض اللطائف ، والدقائق التي اشتملت عليها السورة الكريمة، كان لي دوحة أفيء إلى ظلها، وأقطف من ثمارها ، وهي متمثلة فيما يلي :

أولا : سورة الهمزة مكية، بلا خلاف بين المفسرين.

ثانيا : السورة الكريمة وإن كانت نزلت في شأن بعض الكافرين ، إلا أن القول بالعموم هو الأولى ، لأنه كما هو معلوم عند المحققين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا يدل على صحة ما ذهب إليه مجاهد – رحمه الله – وهذا لا يمنع من أن السورة نزلت فيمن نزلت فيهم ، وهى مع ذلك تشمل عموم من اتصف بهذه الصفات ، فاللفظ عاماً ، وإن كان في الأصل نزل في شخص بعينه، فخصوص السبب لا يضر في القول بعموم السبب، والحكم ، وهذا ما نطقت به عبارات كثير من المفسرين .

ثالثا : السورة الكريمة تسمى بسورة الهمزة ، وسورة الحطمة أيضاً .

رابعا : يوجد ارتباط وثيق ، ووطيد بين سورة الهمزة ، وبما قبلها وهى سورة العصر ، وبما بعدها وهى سورة الفيل، ولا شك ان هذه المناسبة ، وغيرها تدل على الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ، وأنه نسيج واحد، مما يدل على مدى إعجاز القرآن الكريم .

خامسا : أن الحديث عن لطائف، ودقائق هذه السورة الكريمة لا يعنى أننا استقصينا جُل اللطائف الواردة في هذه السورة ، وإنما هي جماع ، ونتاج فكر لبعض العلماء، ولا ريب أن

كتاب الله ﷻ بصفة عامة ، والسورة الكريمة بصفة خاصة بحر لا ساحل له ، وأنه لا تنقضى عجائبه ، ولا يَخْلق على كثرة الرد.

سادسا : المقصد ، والهدف الرئيس من السورة الكريمة هو التشديد بالمعجبين والمغترين بأموالهم ، وبيان مصير، ومآب كل هماز لماز جامع للمال، واستخدمه في الآثام ، وبيان عاقبته ، وأن الجزاء إنما يكون من جنس العمل ، وهو الإلقاء ، والطرح في نار جهنم التي من شأنها أنها تُحّطم كل ما يُلْقى فيها .

سابعا : من نتائج البحث : مدى عناية الفرآن الكريم في اختيار ، وانتقاء ألفاظه، مما يدل على انه كلام الله ﷻ ، وليس بكلام بشر ، بحيث لو وُضِعتْ كلمة مكان الأخرى لاختل المعنى ، فالقرآن الكريم ينتقى ألفاظه بدقة، ويضعها في المكان المناسب له، وما يتطلبه السياق القرآنى .

ثامنا : من الثمار التي جنيتها من وراء هذا لبحث : أن هذه السورة الكريمة كَثُر فيها الحديث بصيغ الجمل الاسمية ، مثل : (ويل – موقدة – مؤصدة – ممددة) وذلك للدلالة على الدوام ، والثبوت ، والاستمرار .

تاسعا : السورة الكريمة زخرت بكثير من المؤكدات ، مثل : (اللام – النون – تكرار كلمة : الحطمة) لترسيخ المعنى المراد من السورة ، وإثباته في عقول الناس جميعاً

عاشرا : السورة الكريمة على الرغم من قلة ، وقصر آياتها ، إلا أنها اشتملت على كثير من القراءات القرآنية، كما في قوله : (همزة لمزة ، جمع مالا وعدده ، يحسب، لينبذن ، مؤصدة) .

الحادى عشر : التحذير، والوعيد الشديد من الغيبة للمؤمنين، في السِّر، والعلانية، ولكلّ عيّاب مغتاب طعّان هماز لماز للناس.

الثانى عشر : كأن الدافع للهمز واللمز والتكبر ، على الناس وازدرائهم هو طول الأمل بكثرة المال ، لأن المال يطيل الأمل، ويجعل الإنسان يتمني الأماني المستحيلة، حتى يصبح جامع هذا المال لفرط غفلته أنه سيخلد في الدنيا.

وختاماً ،،،

أحمد الله Y أن أعانني على إتمام هذا البحث، فإليه يرجع الأمر كله، كما أسأله I أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله فى ميزان حسناتي ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على خير البرية سيدنا محمد ε وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

إعداد

الباحثين

د/ عاطف محمد محمود الخولي

د/ محمود متولي حسين الميهي

الأستاذين المساعدين بجامعة الجوف

كلية العلوم والآداب بطبرجل

المملكة العربية السعودية

والمدرسين بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين – جامعة الأزهر

ثبت الفهارس

ويشتمل على ما يلى :

أولا : ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، ط : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .

٦- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، ط : المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا – بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٧- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٨- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

٩- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، ت: د/ محمود مطرجي ، ط : دار الفكر – بيروت .

١٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .
١١- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى .
١٢- تفسير السراج المنير - ، لمحمد بن أحمد الشربيني, شمس الدين ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت .
١٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، ط : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
١٤- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، ت: صدقي محمد جميل ، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
١٥- البرهان فى تناسب سور القرآن ، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ، ت: محمد شعباني ، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
١٦- تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
١٧- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ت: عبد الرزاق المهدي ، ط: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
١٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، جار الله ، ط: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ .
١٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ن الطبعة : ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ مـ .
٢٠- دراسة بيانية في سورة الهمزة، لمحمد فاضل صالح السامرائى ، مجلة الدراسات الاجتماعية – جامعة العلوم والتكنولوجيا ، عام ٢٠٠٤ .
٢١- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، السامرائي، ط: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
٢٢- إعراب القرآن، لأبى جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ

٢٣- العميد في علم التجويد ، لمحمود بن علي بسّة المصري ، ت: محمد الصادق قمحاوى ، ط: دار العقيدة – الإسكندرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٢٤- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، ت: محمد باسل عيون السود، ط: دارالكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ .
٢٥- سورة الهمزة : دراسة لغوية أسلوبية ، شفاء خضير عباس، جامعة بغداد – كلية الآداب ، عام ٢٠١١.
٢٦- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة .
٢٧- الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق ، بحث تقدم به د/ ماهر مهدى هلال، مجلة آفاق عربية ، لعام ١٩٩٢ .
٢٨- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة ، لعلي بن نايف الشحود .
٢٩- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب ، ط : دار الفكر العربي – القاهرة .
٣٠- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء ، ط : دار الفكر – بيروت .
٣١- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ، ، ت: سعيد الأفغاني ، ط: دار الرسالة .
٣٢- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، ت: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ، ط : دار الشروق – بيروت ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .
٣٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي ، ت : الدكتور/ أحمد محمد الخراط ، ط: دار القلم، دمشق .
٣٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات ، ط: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .
٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي، أبو الفضل ، ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٦- التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة محمد علي عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ ، ط : دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السابعة .
٣٧- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لناصر الدين أحمد بن المنير الإسكندرى ، طبع على هامش تفسير الكشاف للزمخشرى .

٣٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى .
٣٩- معاني النحو، للدكتور / فاضل صالح السامرائي ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
٤٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، أبو السعود ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٤١- الجملة العربية والمعنى ، للدكتور/ فاضل صالح السامرائي ، ط : دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ١٩٥٣ م .
٤٢- تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري ٣٤٠/١٠، ت : غلام نبي التونسي ، ط : مكتبة الرشدية – الباكستان ، الطبعة: ١٤١٢ هـ .